حيوانات الجيزة

تابع الكلام على الاسد

كيف يقتل الاسد فريسته وكيف يحملها . مسألتان اختلف الكتّاب فيهما . والقول الشائع ان الاسد يقص عنق فريسته كما يفعل البراي يخلع فقرات عنقها لكن المستر بلانفورد فحص عنق بقرة بعد ان قتلها اسد فلم يجد انهُ خلع فقراتها ورأى لبوة تعالج جملاً دقائق كثيرة ولم تحاول قص عنقهِ . ومن رأي المستر سلوس ان الاسود لا تجري على وتيرة واحدة في قتل فرائسها بل حسب مقتضى الحال فانهُ رأى فرساً ودغفلاً (وهو عجل القيل) وغزالين قتلها اسد بعضّها في ضورها ورأى خيلاً وحمراً وحشية افترستها الاسود بعضّها في ثغرها تحت رؤوسها . وهو يظن ان الاسد يقتل الجاموس بوقص عنقهِ وذلك انهُ يثب على عاتقهِ ويقبض على انفهِ باحدى يديهِ ويقتل رأسهُ فيخلع فقرات عنقهِ

وكان القول الشائع ان الاسد يحمل فريستهُ على ظهرهِ بعد ان يقتلها ويعدو بها ولو كانت كبيرة كالثور والجاموس . ولكن الذين راقبوا الاسود في آجامها ومواطنها ينفون ذلك ويقولون ان الاسد يقبض على فريستهِ بفيهِ ويجرها جرًّا . وقال المستر سلوس ان الاسود تفعل كذلك بفرائسها الكبيرة كالثيران والصغيرة كالغزلان وعندهُ ان الاسد لا يقوى على حمل الثور ورفعهِ فوق الارض وبالاحرى لا يقوى على حملهِ والوثب بهِ من فوق الاسوار والسياجات . وروى بعضهم ان اسداً وثب فوق سياج زريبة في شمال افريقية واختطف ثوراً كبيراً منها وخرج بهِ وثبًا من فوق السياج فقال السر صموئيل باكر في ذلك « ان الاضطراب يبلغ اشدّهُ حينئذٍ لاسيما والليل داج فيتعذّر على المرء ان يرى الاسد يثب من فوق السياج وهو قابض على الثور وقد يحاول ذلك ولكن الثور لا يهدأ لهُ روع بل يحاول الافلات منهُ فيخترق بهِ السياج وهو يجرهُ . ولا صحة لما قيل من ان الاسد يستطيع حمل الثور الكبير وانما يستطيع ان يرفع رأسهُ ويديهِ عن الارض ويجرُّ بقية جسمهِ عليها جرًّا »

ويقال ان الاسد يسير سيراً وئيداً اذا لم يحدث ما يستفزهُ للجري ولكن خطواتهِ واسعة فسيرهُ سريع ولو كان وئيداً واذا عدا لم يثب وثبًا بل سار كالكلاب في عدوها وعدوهُ سريع جدًّا ولكن لا شيء فيهِ من اللباقة والرونق

واختلف الباحثون في شراسة الاسد واتقتهِ فقال لفستون انهُ ليس شرساً ولا انوفاً . وقال السر صموئيل باكر انهُ ليس شرساً كالببر ولكنهُ مهيب الطلعة جدًّا

واتفق اكثر الكتّاب على انهُ لا يبدي الانسان بالعدوان بل يتجنبهُ ويحيد من طريقهِ واذا جرى على خلاف ذلك فلسبب من الاسباب وذلك اما لان الصيّاد يفاجئهُ مفاجاة فيخاف (الاسد) ان يهرب من امامهِ ويحملهُ خوفهُ على الهجوم عليهِ . او لان الجوع يكون قد اخذ منهُ كل مأخذ ولقي صيداً فافترسهُ ثم رأى الانسان فيظنهُ آتياً لتخليص فريستهِ منهُ فيهاجمهُ دفاعاً عنها . او لانهُ يكون لبوةً ومعها اشبالها فتهاجم الانسان خوفاً من شرٍّ يظن منهُ . وهذا رأي السر صموئيل باكر ايضاً فانهُ رأى الرجال في قلب افريقية لا يخافون الاسد الاّ اذا طاردهُ المطاردون وقال ان الاسد كثير في بلاد الخرطوم ولكن اهاليها لا يخافونهُ ولا يوجسون شرّاً منهُ

ولكن الشواهد كثيرة على ان الاسد الجائع يهجم على الانسان ماشياً كان او راكباً . ذكر لفنستون ان صياداً كان يطارد كركدناً وحانت منهُ التفاتة الى ورائهِ فرأى اسداً جارياً في اثرهِ . وذكر درمند ان اسداً عضهُ الجوع فهجم عليهِ ليفترسهُ من غير ان يهاجمهُ هو بالعدوان . ومن رأيهِ ان بعض الاسود تهاجم الناس ولو لم يتحرشوا بها . ويؤيد ذلك ما نشرناهُ في جزء مايو ويونيو هذه السنة عن قتلك الاسود . وروى بعضهم ان ثلاثة من اهالي شرق افريقية كانوا ماريين قرب احمة واذا باسد هجم على المتقدم منهم وقضَّ عظامهُ وكان رفيقاهُ متسلحين ولكن اخذتهما الدهشة فهربا الى اقرب شجرة منها وتسلقاها . والظاهر انهما خيلا مما فعلا فعادا الى الارض وحاولا رميهُ بالرصاص وقبل ان يفعلا زأر زأرة ارخت مفاصلها وهجم عليها وامسك باحدهما ونفضهُ نفضة فقصقص متنهُ وعاد الى الثالث ووثب عليهِ لكن هذا فرَّ من وجههِ وصعد الى شجرة بجانبهِ قبلما وصل الاسد اليهِ ولما رأى الاسد ان وثبتهُ خابت عاد الى الرجل الثاني وكان لا يزال حيّاً وقبض عليهِ وجعل يضربهُ بكفهِ الواحدة ثم بالاخرى دواليك كأنهُ يلاعبهُ كما تلاعب القطة الفارة ثم اجهز عليهِ . واقام تحت الشجرة ينتظر الذي نجا اليها الى ان اعياهُ الانتظار فتركهُ وعاد الى فريستهِ وبينما هو مشغول بها تسلَّل الرجل من الشجرة وتناول بندقيتهُ ورماهُ برصاصة كانت القاضية

والذين يصيدون الاسد متفقون على ان صيدهُ لا يخلو من الخطر ولاسيما اذا طاردهُ الصياد مطاردة ولا يفلح في صيدهِ الاّ ساكن الروع العارف باطوار الاسود وعاداتها . قال المستر سلوس سنة ١٨٨١ وكان قد صاد ستة عشر اسداً ان صيد الاسد اشد خطراً من صيد غيرهِ من كل الوحوش التي في جنوب افريقية نعم ان الذين قُتلوا بصيد الجواميس البرية اكثر من الذين قتلوا بصيد الاسود ولكن يصاد خمسون جاموساً قبلما يصاد اسد واحد . ويقل الخطر من صيد الاسد اذا كان مع الصياد كلابهُ لان نباح الكلب يشغل الاسد . والصيد على

ظهور الخيل قليل الخطر ايضاً لان الجواد اسرع من الاسد الاَّ اذا دخل غابةً او كانت الارض رملية منهارة يتعذر جري الخيل فيها. اما اذا كان الصياد ماشيًا ولم يكن معهُ كلاب فلا يؤمن اتباع الاسد المجروح ولو كان الهجوم على السليم قليل الخطر ولاسيما اذا كانت الارض كثيرة الهشيم والادغال فان الاسد يختفي فيها ثم يهجم على مطارده كالبرق الخاطف

وقال المستر انفرنرقي ان الاسد يجتنب الناس الى ان يجرح ولا يهاجمهم قبل ذلك الاَّ اذا فوجئ مفاجأةً او كان معهُ اشبال يحميها. واذا هجم هجم وهو يزأر زئيراً كالسعال ووثب قريباً من الارض ولم يحلق في الجو كما يصورهُ المصورون ووثبتهُ سريعة جدًّا وشدة زخمهِ لا يقف الانسان امامهُ بل يسقط حالاً واذا غرزت مخالبهُ وانيابهُ في لحمهِ فالمها ليس شديداً في جنب الالم اذا وصلت انيابهُ الى العظام وحطمتها. لما وثب الاسد عليَّ واعمل انيابهُ في جسمي لم اشعر بتخدُّر كما شعر لفستون بل بقي شعوري على حالهِ وتماوتُّ حاسباً ان ذلك افضل سبيل اتبعهُ واذا تحركت فكل حركة تجازى بعضة واقل العضات اسلمها عاقبة

وقصة لفستون المشار اليها آنفاً خلاصتها انهُ لما كان في مبتسا سنة ١٨٤٣ كثر هجوم الاسود على مواشي السكان وبلغهُ انهُ اذا قُتل واحد منها غادر رفاقهُ تلك الربوع فخرج مع جماعة من السكان الى حيث كانت. قال« ورأيناها على اكمة تغطيها الاشجار فدار الرجال حول الاكمة كالحلقة وجعلوا يدنون منها رويداً رويداً وتضيق حلقتهم وكان معي مبالو معلم المدرسة فرأينا اسداً رابضاً على صخر في وسط الحلقة فرماهُ مبالو بالرصاص فاخطأهُ واصاب الصخر فجعل الاسد يعض الصخر حيث وقعت الرصاصة كما يفعل الكلب بحجر رميتهُ بهِ ثم نهض وخرج من الحلقة مسرعاً من غير ان يصاب باذًى لان الرجال خافوا منهُ فوسعوا لهُ. ورأينا اسدين آخرين في وسط الحلقة وخفت ان ارميها بالرصاص فاصيب احداً من الرجال وخاف الرجال ان يطعنوها بالرماح على جاري عادتهم فاخترقا الحلقة وفرَّا. ولما رأينا ان الاسود نجت منا عدنا ادراجنا الى القرية ولم نكد ندور حول الاكمة حتى رأيت اسداً رابضاً على صخر امامي على نحو ثلاثين خطوة فسددت بندقيتي اليهِ واطلقت الحديدتين معاً فصرخ الرجال قائلين اصبتهُ اصبتهُ اما ان فاخذت ادك بندقيتي ثانية وللحال صرخ الرجال فالتفتُّ لارى سبب صراخهم واذا بالاسد واثب عليَّ فقبض على كتفي ورماني تحتهُ وجعل ينفضني كما ينفض الكلب الجرذ واصابني حينئذٍ شيءٌ من الدوار فلم اشعر بالم ولا بخوف مع ان وجداني لم يفارقني فدرت قليلاً لكي ازيح رأسي من تحت يدهِ فرأيتهُ محدقاً بنظرهِ الى مبالو وكان مبالو واقفاً وهو يسدد البندقية اليهِ على نحو ١٥ خطوة ثم اطلقها فاخطأهُ فتركني

ووثب عليهِ وعضهُ في فخذهِ . وطعنهُ رجل من رجالنا برمحهِ فترك مالهُ وهجم عليهِ واسك بكتفهِ ولكن ازصاصتين اللتين اطلقتهما عليهِ فعلتا فعلهما حينئذٍ فوقع ميتاً وكل ما اصابني منهُ انهُ مزق عظام ساعدي مزقاً وترك فيهِ احد عشر جرحاً من اسنانهِ »

وقد كانت الاسود كثيرة في هذا القطر والقطر الشامي في العصور الغابرة كما يستدلُّ من الآثار القديمة . وقد ابنا في الجزء السابق انها بقيت كثيرة في هذا القطر حتى زمن خمارويه بن احمد بن طولون وكانت تصاد في آجام قرب الاهرام ولعلها زادت حينئذٍ عما كانت عليهِ زمن البطالسة والقياصرة لان العمران الذي بلغهُ هذا القطر في عصرهم وعصر الفراعنة قبلهم تقوَّضت اركانهُ بعدهم بظلم الولاة وفساد الاحكام . والظاهر انها بقيت في بلاد الشام بل في جبل لبنان الى القرن السادس والسابع من الهجرة كما يظهر مما ذكرهُ نحبة الامير اسامة بن منقذ الكناني صاحب قلعة شيزر في كتابهِ لباب الآداب قال

« شاهدت رجلاً من اجنادنا من الاكراد يدعى زهر الدولة بخنيار القبرصي سُمي بذلك لصغر خلقتهِ وكان رحمهُ الله من خيار المسلمين في الشجاعة والدين وقد ظهر عندنا اسد فحمل عليهِ فاستقبلهُ الاسد بخاض بهِ الحصان فرماهُ فجاءهُ الاسد فرفع رجلهُ لتمها الاسد وبادرتهُ فقتلها الاسد فقلنا لهُ يا زهر الدولة ما معنى رفع رجلك الى الاسد قال رأيتها اكسى ما فيَّ في الزان والساق موزا واخف فقلت اذا مسك اضلاعي كسرها واذا مسك رأسي نفشهُ يشتغل برجلي الى ان يفرج الله . فعجبنا من حضور فكرهِ في ذلك الوقت » انتهى نقلاً عن الامير اسامة نفسهِ . وكان اسامة في اواسط القرن السادس للهجرة

وذكر الاب لامنس في كتابهِ النفيس آثار لبنان خبراً رواهُ صالح بن يحيى في كتابهِ تاريخ بيروت عن بعض امراء الغرب في القرن الرابع عشر للميلاد في قرية غرمون من عمل الشوف قال

« ومن جملة مكايدهم معهُ (١) ان احدهم رأى اسداً قد تطرَّق الى بعض الاماكن القريبة فحضر عند زين الدين بن علي وقال لهُ ان دبّاً مجاورٌ لمكان الفلاني (يريد مكان الاسد . وكان تمويههُ بالدب عن الاسد غروراً بزين الدين وخوفاً ان يُحدث لهُ الاسد حادثاً) فتوجَّه زين الدين ليلاً الى المكان الذي قيل لهُ عنهُ ولم يصحب معهُ احداً ومعهُ قوسهُ فكمن هناك فلما مرَّ بهِ الاسد علم انهُ مغرور بالقول الذي قيل لهُ ورمى الاسد بسهم واحد معتمداً على بيت القلب فمات الاسد منهُ . وعاد زين الدين الى منزلهِ وعند الصبح ارسل الى من اخبرهُ انهُ دبٌّ يقول لهُ : اذهب وائتِ بالدب الذي قلت عنهُ فانهُ مقتول بالمكان الذي ذكرتهُ . قال ذلك متهكماً »

(١) يريد بهِ ابي الخير المعاصر لزين الدين بن علي